

خطبة الجمعة - الخطبة ٨٤١ : خ ٢ - حلوة الإيمان ، خ ١ - النظام الاجتماعي في مجتمع النمل .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٢-٠٦-٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونوعده به ونسترشده، ونعود به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مصل له، ومن يضل فلن تجد له ولينا مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريته، ومن واله، ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وارنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

زوال السموات والأرض أهون على الله من لا يحقق وعده للمؤمنين :

أيها الأخوة الكرام، إذا قرأ المسلم القرآن وجد أن وعد الله عز وجل محققة دائماً، بل إن زوال السموات والأرض أهون على الله من لا يتحقق وعده للمؤمنين، وعده واقعة قطعاً، بينما توعده يقع أو لا يقع رحمة بالعباد، فإذا وجدت في القرآن أن الله عز وجل يقول:

﴿وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الروم: ٤٧]

﴿وَإِنْ جُنَاحًا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾

[سورة الصافات: ١٧٣]

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيُسْتَخْلَفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾

[سورة التور: ٥٥]

لو قرأت هذه الآيات لأخذك العجب، والله لا استخلاف، ولا تمكين، ولا نطمئن، ولا نصر، المشكلة كيف نفسرها؟ كيف نفسر هذا التباعد بين وعد الله في القرآن الكريم للمؤمنين وبين حالة المسلمين اليوم؟ الحقيقة الذين يعملون في حقل الدعوة يجتهدون، كل يجتهد ليقدم تفسيراً مقنعاً لهذه الظاهرة العجيبة، وعود ضخمة جداً من قبل خالق الأكون، وواقع سيء جداً يراه الإنسان كل يوم، أي أن كل ثمار الدين التي وعد الله بها المؤمنين ليست في متناول أيدي

ال المسلمين، لو نظرت إلى حالهم شيء لا يصدق من الضعف، من التمزق، من القلق، من القهقر، من الفقر، من الذل أحياناً، وقد يسأل سائل كيف نفسر هذا؟

الفرق بين حلاوة الإيمان و حقائق الإيمان :

أيها الأخوة الكرام، يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان)

[متفق عليه عن أنس]

نقف عند كلمة حلاوة، للإيمان حقائق وله حلاوة، حلاوة الإيمان هي التي يفتقدها المسلمون في هذا العصر، حلاوة الإيمان، أي الثمار النفسية للإيمان، حلاوة الإيمان شيء، وحقائق الإيمان شيء آخر، قد تكون حقائق الإيمان في متناول أي مسلم، ولكن حلاوة الإيمان ليست بين يديك، ألا ترى إنساناً قانعاً أشد القناعة أن الدخان يؤذيه، كيف يدخن؟ كيف نفسر أن إنساناً يعمل في حقل الطب ويدخن؟ وهو يعلم علم اليقين أن هذا الدخان يدمر صحته كيف يدخن؟ قناعته في أعلى مستوى، ولكن إرادته في أدنى مستوى، ما الذي يقوي إرادته؟

هنا السؤال، ما الذي يقوي إرادته؟ يقول عليه الصلاة والسلام:

(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان)

[متفق عليه عن أنس]

حلاوة الإيمان أيها الأخوة الكرام هي ثمرة الإيمان، أليس من تعريف العبادة أنها طاعة طوعية تسبقها معرفة يقينية تقضي إلى سعادة أبدية، حلاوة الإيمان هي السعادة في الدنيا والآخرة، حلاوة الإيمان هي جنة القرب، حلاوة الإيمان هي السكينة التي تتنزل على قلوب عباده المؤمنين، حلاوة الإيمان هي العناية الإلهية التي تأخذ بيده عباده إلى سعادة الدنيا والآخرة، حلاوة الإيمان هي القوة التي تستطيع أن تتحمل بها الشدائـد، حلاوة الإيمان هي القوة التي تدفعك على متابعة السير، حلاوة الإيمان هي الراحة النفسية الحقيقة التي ضلّ طريقها معظم المسلمين، حلاوة الإيمان أن تقول: والله ليس في الأرض من هو أسعد مني إلا أن يكون أتقى مني، حلاوة الإيمان تمنحك سكينة وطمأنينة، حلاوة الإيمان تمنحك أمناً.

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

[سورة الأنعام: ٨١ - ٨٢]

ما من نعمة ينعم الله بها على الإنسان كنعمة الأمن، ألا تتوقع الشر، ألا تتوقع الدمار، أن تكون واثقاً من عناية الله، ألا ترى أن المستقبل لصالحك.

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾

[سورة التوبه: ٥١]

﴿قُلْ هُلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ﴾

[سورة التوبة: ٥٢]

هذه مشاعر الإيمان، مشاعر الإيمان أقوى من كل مشكلة، مشاعر الإيمان أقوى من كل بلاء، مشاعر الإيمان بها تتخطى العقبات، بها تتجاوز الصعوبات، بها تحمل التبعات، بها تقوى على عدوك، بها تقارعه، حلاوة الإيمان اجتهاد، نفتقد حلاوة الإيمان، بين أيدينا حقائق الإيمان، ما من مسلم إلا ويصل إلى الجمعة، لأنها فريضة تعليمية وحيدة في الإسلام، وما من مسلم إلا وبين يديه مئات الحقائق الإيمانية، يعلم أن الجنة حق والنار حق، وأن الله واحد وموحد وكامل، وأن شرعه هو الشرع القويم، وأن قرآن هو الكتاب الكريم، حقائق الإيمان بين أيدي الناس جميعاً ولكنهم لا يقطفون ثمار الإيمان.

السبيل الموصلة إلى حلاوة الإيمان :

أيها الأخوة، ما السبيل إلى أن نصل إلى حلاوة الإيمان؟ هناك حديثان في الصحاح الحديث الأول:

((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار))

[متفق عليه عن أنس]

((... ذاق طعم الإيمان))

[مسلم عن عبد المطلب]

وقد قال شراح الحديث: طعم الإيمان هو حلاوة الإيمان.

((ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسوله))

[مسلم عن عبد المطلب]

حديثان يتعلقان بحلوة الإيمان، حلاوة الإيمان تعطيك القوة، قوة المتابعة، حلاوة الإيمان تعطيك قوة التحمل، حلاوة الإيمان تعطيك سعادة لو اطلع عليها ملوك الأرض لفائزوك عليها بالسيوف، حلاوة الإيمان أن تقول كما قال بعض العلماء: في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، حلاوة الإيمان كما قال بعض العلماء: بستانى في صدري فماذا يفعل أعداء بي؟ لو أبعدوني فإبعادي سياحة، لو حبسوني فحبسي خلوة، لو قتلوني فقتلني شهادة، فماذا يفعل أعدائي بي؟ يفتقد المسلمون حلاوة الإيمان، يصلون ويصومون ويحجون ويزكون، وقد اختصروا دينهم إلى هذه العبادات الخمس، أما حياتهم في بيوتهم، في أسرافهم، في أعمالهم، في كسب أموالهم، في إنفاق أموالهم، في أفرادهم، في أتراحهم، في حلهم، في ترحالهم، فليست على منهج الله، لذلك حرموا حلاوة الإيمان، يتفلسفون في الدين، يتكلمون، يتتصدون المجالس، مفكر إسلامي فلان ثقافته

إسلامية، نزعته إسلامية، اهتماماته إسلامية، خلفيته إسلامية، أرضيته إسلامية، ولكن ليس مسلماً بالتعريف الدقيق الذي جاء في الكتاب والسنّة.

أيها الأخوة الكرام، كيف نصل إلى حلاوة الإيمان؟ حلاوة الإيمان تقوى إرادتك، كأنّي الشخص المشكّلة، أن هناك قناعة لا تكفي كي تطبق ما تعلم، لا بد من إرادة قوية، من الذي يقوى هذه الإرادة؟ حلاوة الإيمان، من الذي يجعلك تقع في محل تجاري متواضع، فميء، بارد في الشتاء، حار في الصيف إلا ضخامة الغلة التي تأخذها كل يوم، ما الذي ينسى التاجر التعب؟ حينما يرى مبيعاته في أعلى مستوى، حلاوة الإيمان هي التي تقوى الإرادة، المسلمين تقضيهم الإرادة، قناعتهم كثيرة، لأن أمور الدين أصبحت واضحة وضوح الشمس، يتلقاها الإنسان في المسجد، وفي الكتاب، وفي الشريط، وفيما يرى، وفيما يسمع، وكل الأحداث التي تقع تؤكّد حقيقة الإيمان، الأمور واضحة وضوح الشمس.

الحياة الطيبة التي وعد الله بها المؤمنين لا تناح إلا لمن استقام على أمره :

الناس على اختلاف ملتهم ونحلهم واتجاهاتهم ونزعاتهم وأجناسهم وطوائفهم ومذاهبهم لا يزيدون على رجلين، إنسان آمن بالآخرة، آمن بالجنة، فانتقى أن يعصي الله، وبني حياته على العطاء، فلما أعطى سعد بعطائه، وإنسان كفر بالجنة، وآمن بالدنيا فقط، الدنيا هي كل شيء، لذلك استغنى عن طاعة الله، وبني حياته على الأخذ، مع هذا الأخذ هناك الكآبة، من منكم يصدق أن مرض الكآبة يعم الأرض كلها؟ من منكم يصدق أن الذي يعانون من أمراض نفسية أعدادهم فلكية؟ في كل مجتمع، الكآبة هي عقاب النفس بينما تحرف عن فطرتها، فطرتك أن تطيع الله، فطرتك أن تلتجأ إلى الله، أن تعتمد عليه، أن تتوكّل عليه، أن تخلص له، أن تتصل به، أن تتاجيه، هذه فطرتك، فإذا ابتعدت عن فطرتك، أول عقاب يعاقب به الإنسان الكآبة، بالتعريف المعاصر، بالتعريف القرآني.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾

[سورة طه: ١٢٤]

وهذه الكآبة لا تخص الفقراء تطول الأغنياء، لا تخص الضعفاء تطول الأقواء، الكآبة مرض العصر، الكآبة عقاب الفطرة، الكآبة نتيجة حتمية للإعراض عن الله عز وجل، إن الله يعطي الصحة والذكاء والمال والجمال للكثيرين من خلفه ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصنفائه المؤمنين، قد تملك أطراف الدنيا، وقد تكون أغنى إنسان في الأرض، وقد تكون أقوى إنسان في الأرض، وقد تكون أجمل إنسان في الأرض، ومع ذلك يمكن أن تكون أشقي إنسان في الأرض، لأن الحياة الطيبة التي وعد الله بها المؤمنين هذه لا تناح إلا لمن استقام على أمر الله.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيهِ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

[سورة النحل: ٩٧]

وزوال الكون أهون على الله من ألا يتحقق وعده للمؤمنين.

من آثر طاعة الله ورسوله على مصالحة ذاق حلاوة الإيمان :

أيتها الأخوة الكرام:

((ثلث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ...))

[متفق عليه عن أنس]

لو سألت ألف مليون مسلم ألا تحب الله ورسوله؟ يقول: بلـ، ليس هذا هو الجواب، أن يكون الله في قرآنـ، ورسوله في سنتهـ، أحب إلى هذا الذي يذوق حلاوة الإيمانـ مما سواهماـ، حينما يتعارض النص الشرعي مع المصلحة فتضيع المصلحة تحت قدمكـ، وتتحاز إلى النص الشرعيـ، حين تضحي بمصالحـكـ، تضحي بدنياكـ، تضحي بشهواتكـ، تضحي بأقرب الناس إليـكـ، حينما يتعارض الأمر الإلهيـ في القرآنـ والأمر النبوـيـ في السنةـ مع مصلحتـكـ المتوجهـةـ القريبـةـ فتؤثـرـ طاعةـ اللهـ وطاعةـ رسولـهـ عندـئـذـ يـذـوقـ حـلاـوةـ الإـيمـانـ، آيةـ كـرـيمـةـ تـؤـكـدـ هـذـاـ المعـنىـ:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ﴾

[سورة التوبـةـ: ٢٤]

بـمعنىـ أنـ الأبـ لوـ أمرـكـ بـمعـصـيـةـ، وهـدـدـكـ إنـ لمـ تـقـعـ فـسـاحـرـمـكـ منـ مـالـيـ، لوـ اـنـصـعـتـ لـأـمـرـهـ وـحـرـصـتـ عـلـىـ ماـ يـنـالـكـ مـنـ هـذـاـ الأـبـ وـعـصـيـتـ اللهـ وـأـطـعـتـ الأـبـ:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ عَابَاؤُكُمْ﴾

[سورة التوبـةـ: ٢٤]

بـهـذـاـ المعـنىـ:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ عَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾

[سورة التوبـةـ: ٢٤]

إـذاـ كانـ ابنـكـ فـيـ أـعـلـىـ مـسـتـوـىـ فـيـ الدـنـيـاـ وـلـيـسـ فـيـ ذـرـةـ مـنـ إـيمـانـ وـأـنـتـ رـاضـيـ عـنـهـ، وـأـنـتـ قـرـيرـ العـيـنـ بـهـ، وـلـاـ يـعـنـيـكـ أـمـرـ إـيمـانـهـ إـطـلاقـاـ، وـلـاـ أـمـرـ إـسـتـقـامـتـهـ، أـيـ آثـرـتـ أـنـ تـفـتـخـرـ بـهـ عـلـىـ صـلـاحـ آخرـتـهـ هـذـاـ هـوـ المعـنىـ الثـانـيـ:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ عَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾

[سورة التوبـةـ: ٢٤]

لوـ أـنـكـ فـيـ عـمـرـ مـتـقـدـمـ وـأـنـتـ عـنـدـ ابنـكـ وـهـوـ يـنـفـقـ عـلـيـكـ، وـابـنـكـ لـاـ يـطـبـقـ مـنـ الدـيـنـ شـيـئـاـ، وـأـنـتـ رـاضـيـ عـنـهـ، بـلـ حـمـلـكـ عـلـىـ أـنـ تـعـصـيـ اللهـ، بـلـ دـفـعـكـ إـلـىـ مـعـصـيـةـ، بـلـ أـرـغـمـكـ عـلـىـ مـعـصـيـةـ، فـهـذـاـ المعـنىـ مـاـ تعـنـيـهـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ أَقْرَفْتُمُوهـاـ﴾

[سورة التوبـةـ: ٢٤]

تجارة رابحة جداً ولكن البضاعة محرمة، دخل عريض ولكن على حساب استقامتك، كم من مسلم يؤثر كسب المال على طاعة الرحمن؟!

﴿قُلْ إِنْ كَانَ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالُ افْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةً تَخْشَونَ كَسَادَهَا﴾

[سورة التوبية: ٢٤]

التجارة كاسدة، لابد من طريقة ليست إسلامية في تسويق البضاعة، وهذه الطريقة فيها معصية، آثرت أن تعصي الله، وتسوق تجارتكم على أن تطيعه وتكتسد تجارتكم.

﴿وَتِجَارَةً تَخْشَونَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنَ تَرْضَوْنَهَا﴾

[سورة التوبية: ٢٤]

بيت مغتصب لكنه مريح وواسع، في موقع جيد، وأجرته زهيدة جداً، وأنت لست بحاجة أن تغتصب بيتك، (ومساكن ترضونها) إن كان الآباء والأبناء والأخوة والأخوات والزوجة والعشيرة والأموال الطائلة والتجارة والمساكن أحب إليكم من الله ورسوله، مرة ثانية عند التعارض.

﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾

[سورة التوبية: ٢٤]

معنى تربصوا أي الطريق إلى الله ليست سالكة، هذه المؤاشرة مؤاشرة الدنيا على طاعة الله حجاب بينكم وبين الله، وهذا حال معظم المسلمين، آثروا دنياهم على آخرتهم، يصلون ويصومون، يؤتى بأناس يوم القيمة لهم أعمال كجبال تهامة يجعلها الله هباءً منثوراً، قيل: يا رسول الله جلهم لنا؟ قال: إنهم يصلون كما تصلون، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم إذا خلوا بمحارم الله انتهكواها، لابد من أن نذوق حلاوة الإيمان حتى نقوى على الشيطان، لابد من أن نذوق حلاوة الإيمان حتى نقوى على العداوة، لابد من أن نذوق حلاوة الإيمان حتى نقوى على أنفسنا وعلى شياطين الإنس والجن، وعلى مصالحنا المتشوهمة، وعلى دنيانا العريضة:

((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما))

[اتفق عليه عن أنس]

((لا يؤمن أحدكم حتى تكون أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين))

[اتفق عليه عن أنس]

هذا هو الإيمان، لأنك موعود بجنة عرضها السموات والأرض، إنك موعود بجنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، هذا هو الإيمان، أدق شيء في الحديث عند التعارض، حينما تتعارض مصالحك المتشوهمة مع أمر الله وأمر النبي وتؤثر طاعة الله عز وجل عندئذٍ تذوق حلاوة الإيمان، وعندئذٍ دققاً: تخضع لمنظومة قوانين لا تعلمها، قوانين العناية الإلهية، لا يفوتك من الدنيا شيء إن كانت الحكمة كذلك، تتال رضا الله عز وجل وتتال الدنيا، ولو ثلت رضا الله ولم تتل الدنيا فأنت الرابح الأكبر، العبرة أن تكون في طاعة الله، كفاك على عدوك نصراً أنه في معصية الله.

الحب في الله و الحب مع الله :

البند الثاني أيها الأخوة:

((وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله))

أن تحب في الله لا أن تحب مع الله، أن تحب من يحب الله، ولو نالك منه الأذى، وأن تبغض من لا يطيع الله، ولو نالك منه الخير، هذا الولاء والبراء، الولاء يعني أن تحب، والولاء يعني أن تتبع، والولاء يعني أن تتصرّ، والولاء يعني أن تكون مع الذي تحب في المصير، لذلك أحد العلماء الكبار يقول: هناك حب في الله، وحب مع الله، أن تحب رسول الله حب في الله، لأن الأصل أنك تحب الله، وأن تحب المؤمنين، وأن تحب المساجد، وأن تحب القرآن الكريم، وأن تحب كل ما يمت للدين بصلة، هذا حب في الله، وهو عين التوحيد، وأما أن تحب أهل الدنيا لما عندهم من أموال، ولما يتمتعون به من قوّة، فهذا حب مع الله وهو عين الشرك.

فالبند الثاني أن يحب المرء لا يحبه إلا الله، والولاء يعني أن تتولى المؤمنين ولو كانوا فقراء وضعفاء، وأن تتبرأ من المشركين ولو كانوا أغنياء وأقوياء، وكم من المسلمين من يتلتصق بأهل الدنيا وهم لا يصلون، يتلتصق بهم، يعيّنهم، أو يستمد من قوتهم قوّة، هو يفعل فعلًا هو عين الشرك.

امتحان الله عز وجل لمن يعبده على حرف :

أيها الأخوة الكرام، وأن تكون في الأعماق: وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار، هذا الذي يعبد الله على حرف مادامت الأمور تجري كما يريد هو في طاعة الله، فإذا لم تكن كذلك هو في معصية الله، هذا يعبد الله على حرف، والله سبحانه وتعالى لابد من أن يمتحنه امتحاناً صعباً ولابد من أن يفرزه.

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَنْهَا الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾

[سورة آل عمران: ١٧٩]

أيها الأخوة الأحباب:

((وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار))

[اتفق عليه عن أنس]

هذه الأمور الثلاثة إذا كانت في المؤمن ذاق حلاوة الإيمان، وإذا ذاق حلاوة الإيمان ازداد تمسكاً بالإسلام، ومقاومة للشياطين، ومقاومة للشهوات، ومقاومة للمصالح الضعيفة. أيها الأخوة الأحباب، مصلحتك أن تكون مع الله إذا آثرت طاعة الله على مصلحتك قد يكافئك الله برضوانه، وأن تكون في الدنيا من المتقوقفين، وإن نالك رضوان الله فأنت الربح الأول.

من رضي بالله رباً و بالإسلام ديناً و بمحمد نبياً فقد ذاق حلاوة الإيمان :

الحديث الثاني:

((ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً،...))

[مسلم عن عبد المطلب]

أي من قنع أن الله هو رب العالمين، خالق السموات والأرض، بيده ملکوت السموات والأرض، واحد لا شريك له، يرفع ويخفض، يعطي ويمنع، يكرم ويهين، يصل ويقطع، الأمر بيده، حينما توحد، حينما ترضى أن الله بيده كل شيء تقنع، وحينما تسلم لهذه القناعة، وحينما تكتفي، ولا تبحث عن جهة أخرى، وحينما لا تطلب غير الله عز وجل ولهاً ونصيراً فقد رضيت بالله رباً، وحينما ترضى بالإسلام ديناً أن هذا المنهج منهج كامل صالح لكل زمان ومكان يحقق لك أعلى أنواع السعادة، تكتفي بالإسلام، ولا تتطلع إلى مناهج أخرى، إلى مناهج مادية مستوردة تشقي الإنسان، ينبغي أن ترضى، أي أنك مقتطع ومكتف ولا تتطلع لغير الله عز وجل، قانع فاعلم أنه لا إله إلا الله، ومكتف لا تنظر إلى جهة أخرى، أي رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلمنبياً ورسولاً، عندئذٍ تذوق حلاوة الإيمان، إذا ذقت حلاوة الإيمان قويت إرادتك، لا تكتفي قناعتك بل تحتاج إلى إرادة قوية، وما يقوى الإرادة كأن تذوق حلاوة الإيمان، والحديث عن حلاوة الإيمان حديث طويل، وفيه عدة نصوص صحيحة اخترت لكم هذين النصين كي يكونا باعثين لنا جميعاً إن شاء الله تعالى على تقوية إيماننا بأن تذوق حلاوة الإيمان.

أيها الأخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطنا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لم بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هوها، وتمنى على الله الأماني.

* * *

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

توافق فطرة الله مع الدين توافقاً تماماً :

أيها الأخوة الكرام، حينما يقول الله عز وجل:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِدِينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة الروم : ٣٠]

فطرة الله جل جلاله متوافقة مع الدين توافقاً تماماً، فأنت لمجرد أن تعود إلى الله، وأن ترجع إليه، وأن تستقيم على أمره، وأن تقبل عليه عدت إلى فطرتك، وارتاحت نفسك، وتوازنت، واستقرت، وسعدت، وأمنت، ولكن حينما تتطمئن الفطرة، الفطرة قد تتطمئن.

﴿كَمَا بِكُلِّ رَبِّنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

[سورة المطففين : ١٤]

تحتاج إلى ما يقوى إيمانك بعد انطمام الفطرة، نتحدث عن إيمان ضعيف من نتائجه خلل في الاستقامة، أو إيمان قوي من ثماره تمسك قوي بأحكام الدين، فحينما يضعف الإيمان ينبغي أن تعرف من هو الله، لذلك بث الله في قرآنـه ما يزيد عن ألف وثلاثمائة آية تتحدث عن خلقه في الآفاق، وفي النفس، وفي الأرض.

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الذاريات : ٢٠]

﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبَصِّرُونَ﴾

[سورة الذاريات : ٢١]

﴿فُلِّ انْظُرُوهُمْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

[سورة يونس : ١٠١]

فحينما تجهد في التعرف إلى الله سبحانه وتعالى فضلاً عن الفطرة، حينما تتعرف إلى الله من خلال خلقه، لا بد من أن تعود بقناعة عالية جداً أن الله واحد وكامل ومحظوظ، وأن الأمر كلـه بيده، فحينما ترى أن إيمانك لا يحملك على طاعته فهناك ضعف في إيمانك، لا بد من تقوية إيمانك بالتفكير في خلق السموات والأرض لأن الله سبحانه وتعالى حينما يقول:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَئِكَ الْأُلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

[سورة آل عمران: ١٩١-١٩٠]

ذكر الله من آياته في خلقه النمل:

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمُنَّكُمْ سُلَيْمَانٌ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

[سورة النمل : ١٨]

النظام الاجتماعي في مجتمع النمل :

عالم وصل إلى نتائج لا تصدق عن حياة النمل، يقول: إن النمل يعد من أقدر الحيوانات على التكيف مع ظروف البيئة التي يعيش فيها، ويعمل على تحسين حياته بشكل يبعث على الدهشة، كما أن له علاقات اجتماعية حميمة تتجسد هذه الحقائق في تعاون النمل في بناء أحياـء سكنية تستوعـب أكبر عدد ممكن من الأفراد، الأحياء السكنية التي يبنيها النمل بلا ضجيج، وبلا تلوث،

وبلا تصادم في الحركة، تزيد عن خمسين مليون نملة، وكر النمل يستوعب ما يزيد عن خمسين مليون، بلا ضجيج، ولا تلوث، ولا تصادم، ولا مشكلات، نظام النمل الاجتماعي لا يصدق، بل هو من أعلى الأنظمة في الأرض.

أيها الأخوة الكرام، حقائق كثيرة لا يتسع المجال لذكرها على هذا المنبر، لكن تؤكد أن الله سبحانه وتعالى من الآيات الدالة على عظمته النظام الاجتماعي الذي يعيشه النمل في تناصح، في تجريد، في زراعة، في بناء مساكن.

هناك نمل يعيش على العمل المؤوب، ونمل يعيش على العدوان والاغتصاب، والحديث عن النمل يطول، ولكن أريد أن تكون هذه الحقيقة ناصعة، إن النظام الاجتماعي الذي يعيشه النمل هو أمر تكويني، لا اختيار له فيه، بينما النظام الاجتماعي الذي أمرنا به نحن بالكتاب والسنة هو أمر تكليفي قد نطبق وقد لا نطبق، ولكن أتمنى على كل منا أن يجعل فكره في هذه الآيات الذي ذكرها الله في القرآن الكريم، والتي تزيد عن ألف و ثلاثة آية، لعله بهذا الخلق المبدع المعجز يشعر أن الله جل جلاله ينبغي أن يطاعه، وأن يُؤوب إليه، وأن يخلص له.

الدعاء :

اللهم اهدا فیمن هدیت، وعافنا فیمن عافت، وتولنا فیمن تولیت، وبارك لنا فیما أعطيت، وفنا واصرف عنا شر ما قضیت، فإنك تقضي بالحق ولا يقضی عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عادیت، تبارکت ربنا وتعالیت، ولک الحمد على ما قضیت، نستغفرك ونتوب إليک، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليک، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارضنا عنا، اللهم بفضلک ورحمتك أعلِّ كلمة الحق الدين، وانصر الإسلام، وأعز المسلمين، وخذ بيده ولا تهم إلى ما تحب وترضى، إنك على ما تشاء قادر، وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين